PISSN : 2571-9904 - EISSN : 2602-7763

السلوك الاتصالي للفرد بين البيئة الاجتماعية والبيئة الرقمية إشكالية البعد القيمي الثقافي.

The individual's communicative behavior between the social environment and the digital environment the problem of the cultural value dimension.

عبد الوهاب بوبعة.

جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل (الجزائر)، abdelwahhab.boubaa@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 12/ 07/ 2023 تاريخ القبول: 01/ 09/ 2023 تاريخ النشر: 30/ 11/ 2023

ملخص:

يهدف هذا البحث النظري إلى استكشاف موضوع السلوك الاتصالي للفرد بين البيئة الاجتماعية والبيئة الرقمية، وذلك من خلال البحث في الإشكالية المتعلقة بالبعد القيمي الثقافي للسلوك الاتصالي، والناجمة عن الاختلاف بين البيئتين من حيث الثقافة والقيم السائدة في كل منهما، ومن منطلق أن الإنسان في هذا العصر يعيش في ظل بيئتين مختلفتين من حيث القيم والثقافة، فإن هناك إشكالية تتعلق بمرجعية سلوكه الاتصالي خاصة في البيئة الرقمية التي تسود فيها ثقافة مغايرة لثقافته التي اكتسبها من بيئته الاجتماعية الأصلية، وتوصل هذا البحث إلى أن السلوك الاتصالي للفرد يختلف في البيئتين الاجتماعية والرقمية نظرا للاختلاف بينهما في القيم والثقافة السائدة في كل منهما.

الكلمات المفتاحية: البيئة الاجتماعية؛ البيئة الرقمية؛ الثقافة؛ السلوك الاتصالي؛ الفضاء الرقمي؛ القيم.

Abstract:

This theoretical research aims to explore the topic of individual communicative behavior between the social and digital environments by investigating the problematic related to the cultural values dimension of communicative behavior, resulting from the difference between the two environments in terms of the culture and values prevailing in each. Given that humans in this era are living in two different environments in terms of values and culture, there is a problematic related to the reference of their communicative behavior, especially in the digital environment where a culture different from the one acquired from their original social environment prevails. This research concludes that the communicative behavior of the individual differs between the social and digital environments due to the difference in the prevailing values and culture in each.

Keywords: *communicative behavior; culture; digital environment; digital space; social environment; values.*

ا. مقدمة

يعتبر السلوك الاتصالي للفرد كغيره من السلوكيات الإنسانية الأخرى، لا ينبع من فراغ، وإنما يرتكز على منظومة قيم اجتماعية وثقافية تعمل على توجيهه في اتجاهات معينة تتوافق مع ما ترتضيه الجماعة، هذا السلوك تتجلى مظاهره في مختلف عمليات التفاعل التي تحدث بين الفرد وعناصر المجتمع الأخرى سواء كأفراد أو جماعات، وعليه فالسلوك الاتصالي للفرد في المجتمع محكوم بمجموعة موجهات ومعايير تحدد كيف يتواصل ويتفاعل مع غيره في المواقف والبيئات المختلفة التي يكون هو أحد عناصرها. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن البيئة الاجتماعية التي تحدث داخلها العملية الاتصالية هي بدورها تزود أطراف العملية الاتصالية بالمعاني والرموز اللازمة لنجاحها، هذا يعني أن البيئة الاجتماعية التي تحدث في سياقها العملية الاتصالية تحدد بنسبة كبيرة قواعد ومبادئ التواصل داخلها من خلال تزويد عناصر العملية الاتصالية بمعايير السلوك والرموز اللازمة لنجاحها، أي أنها من جهة توفر قواعد محددة للسلوك ومن جهة أخرى توفر معاني مشتركة لهذا السلوك.

يختلف سياق العملية الاتصالية باختلاف البيئة الاجتماعية التي تحدث فيها هذه العملية، وبالتالي تختلف المعاني التي تمنحها البيئة لعناصر العملية الاتصالية، في مقابل ذلك تبقى القيم تعمل كموجهات للسلوك مهما اختلفت البيئة التي يتفاعل فيها الفرد، وعليه فالسلوك الاتصالي يصبح خاضعا لثنائية القيم – كموجه للسلوك-من جهة والمعاني التي تعطيها البيئة الاجتماعية للعملية الاتصالية من جهة أخرى، وحينما تكون البيئة الاجتماعية مصدر قيم ومعايير سلوك أطراف العملية الاتصالية هي نفسها البيئة التي تحدث فيها العملية فإن التوافق بين السلوك الاتصالي والمعاني هو السمة التي تطبع العملية الاتصالية، وبالتالي اتساق سلوك الفرد مع معايير مجتمعه، أما عندما تختلف البيئة الاجتماعية مصدر القيم والبيئة مصدر المعاني فإنه قد يؤدي ذلك إلى عدم الاتساق في السلوك الاتصالي للفرد داخل البيئة الجديدة التي تعتبر بيئة مختلفة عن بيئة مصدر قيمه. والاختلاف بين البيئتين قد يكون بسبب الانتقال من مجتمع إلى مجتمع آخر يحمل ثقافة مختلفة، أو بسبب دخول مغيرات وعوامل جديدة على البيئة الاجتماعية، هذه العوامل والمتغيرات تعطي معاني جديدة مختلفة عن البيئة الأصلية، وهو ما حدث فعلا نتيجة التطور التكنولوجي المتسارع وما نتج عنه من أنماط سلوكية جديدة ومتغايرة في البيئة الاجتماعية الواحدة.

فالاندماج الذي حصل بين التطور التكنولوجي والثورة المعلوماتية نتج عنه بيئة رقمية معقدة متعددة الثقافات فرضت وجودها كبيئة تفاعل وتواصل وعمل وغيرها من أوجه النشاط الإنساني، فالفرد في هذا العصر أصبح يعيش في نفس الوقت في بيئتين مختلفتين- بيئته الاجتماعية التي يعيش فيها جسديا وبيئة رقمية يتواصل فيها أو يعمل من خلالها أو يمارس نشاطا إنسانيا آخر عبرها، هذه البيئة الرقمية الجديدة لها خصوصياتها من حيث القيم السائدة فيها المستمدة من خصوصية تكنولوجيا الاتصال في حد ذاتها، والمبنية على أساس الحرية الكبيرة، وكذا إمكانية المجهولية، وتعدد الثقافات وبالتالي تعدد القيم المستمدة من هذه الثقافات، وهو ما يفرض على الفرد قيم جديدة قد تختلف مع قيمه الأصلية المستمدة من مجتمعه عن طريق التنشئة الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق تظهر إشكالية السلوك الاتصالي للفرد داخل البيئة الرقمية في بعده القيمي الثقافي، فمن جهة السلوك الاتصالي كغيره من سلوكيات الفرد ينبع من إطار مرجعي أساسه القيم التي اكتسبها من مجتمعه عن طريق التنشئة الاجتماعية، ومن جهة أخرى بيئة رقمية مختلفة كليا عن بيئته الأصلية وتفرض عليه قيم جديدة وبالتالي معايير سلوك جديدة. وعليه نتساءل حول اشكالية البعد القيمي الثقافي للسلوك الاتصال للفرد داخل البيئة الرقمية.

وعليه نطرح التساؤل التالي: **ما هي أهم الإشكاليات القيمية الثقافية التي تميز السلوك الاتصالي للفرد في البيئة الرقمية؟**

أولا: مفهوم السلوك الاتصالي

السلوك الاتصالي للفرد كغيره من السلوكيات الإنسانية، لا يجري في فراغ، ولا في مطلق زمان ومكان، وإنما يتم في أمكنة معينة وفي مجتمعات معينة، أي في سياقات تاريخية واجتماعية معينة، كما أن السلوك الاتصالي يصدر عن أفراد وجماعات معينة لها شخصيات معينة، ولها انتماءات واتجاهات وقيم ونزعات معينة، كذلك فإن السلوك الاتصالي فعالية غائية وهادفة، ولا يمكن فهمه إلا ضمن السلوك العام لهذا الفرد الهادف إلى فهم واقعه وعصره، وبناء شخصيته وكيانه، وإشباع حاجاته الإعلامية (أديب محمد خضور، 2015، ص43).

إن السلوك الاتصالي إذن يقوم على ثلاثة دعائم أساسية؛ أولها: الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه هذا الفرد، وطبيعة النظام السياسي والاجتماعي -الاقتصادي السائد في هذا المجتمع، وموقع الإعلام ودوره، بوصفه نظاما فرعيا، ضمن هذا النظام العام .وثانيهما: خصائص المنظومة الإعلامية المتاحة والمتوفرة في هذا المجتمع، والخصائص المميزة لكل وسيلة اتصال ولكل نموذج اتصالي، ومستوى الأداء الإعلامي. والدعامة الثالثة هي الفرد (أو الجماعة)، والمستوى التعليمي والثقافي والمادي لهذا الفرد، وكذلك الانتماء الطبقي والفكري والأيديولوجي لهذا الفرد، وموقعه ودوره ضمن شبكة العلاقات والصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في مجتمعه وعصره، ودوافعه وحاجاته (أديب محمد خضور، 2015، ص43).

والسلوك الاتصالي في البيئة الرقمية ظاهرة اجتماعية حديثة تقوم على علاقات تفاعلية متزامنة أو غير متزامنة بواسطة وسائل الاتصال الرقمي التفاعلي يتم خلالها إرسال واستقبال المعلومات بين طرفين أو عدة أطراف (عبد الكريم علي الدبيسي وزهير ياسين الطاهات، 2013، ص69).

ثانيا: مفهوم البيئة الاجتماعية

تختلف التعريفات التي تناولت مفهوم البيئة الاجتماعية بين من ينظر إليها بمعنى المجتمع وبين من يعطيها معنى البناء الاجتماعي والعلاقات والتفاعلات الاجتماعية، وكذلك من يعطيها بعد ثقافي يشمل العادات والتقاليد والأعراف وغيرها من أوجه النشاط الإنساني.

ومن التعريفات التي قدمت حول هذا المفهوم ما ذهب إليه معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الذي يشير إلى البيئة الاجتماعية بمعنى المجتمع باعتباره مجالا لنواحي نشاط الأفراد ومجموع النظم والأشكال والأنماط والعمليات الاجتماعية التي تشكل هؤلاء الأفراد كالمهنة والسكن والحالة الاقتصادية والحالة الصحية والتعليم وكلها متصلة ببعضها البعض (أحمد زكي بدوي، 1982، ص386).

وهو المعنى الذي أكده تعريف آخر يرى البيئة الاجتماعية على أنها جميع الجماعات البشرية التي ينخرط ويتفاعل وإياها الإنسان وأخصها جماعة الأسرة، أبناء الجيرة، جماعة النادي رفقاء العمر، زملاء العمل، وتشمل كذلك على المؤسسات الاجتماعية العادات والتعاليم والنظم والقوانين وكل عناصر الثقافة التي يعيش الإنسان ويتربى في كنفها (عبد الرحمن عيسوي، 2007، ص133).

وهناك من يعرفها على أنها البناء الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية السائدة بين السكان القاطنين في البيئة الجغرافية من عادات وتقاليد وطقوس، وأعراف وقوانين، وهذه البيئة قد تكون عامة أي تشمل الظروف العامة لوسط معين له تأثير على الأفراد في هذا الوسط، وقد تكون بيئة خاصة يظهر أثرها على الفرد بذاته بشكل واضح (منى محمد علي جاد، 2004، ص77). وهي كذلك ذلك الإطار من العلاقات الذي يحدد استمرار حياة الجماعات والمجتمعات التي ينظمها الإنسان وما تتألف منها من أنظمة اجتماعية، لذلك تشتمل على

التفاعل بين الناس وطبيعة العلاقات والسلوكيات المتنوعة بينهم وبين بعضهم البعض وبينهم وبين بيئاتهم (نظيمة أحمد محمود سرحان، 2005، ص16).

ومن التعاريف التي وردت بهذا الصدد أن البيئة الاجتماعية هي نوعية العلاقات والتفاعلات في المجتمع والعادات والمفاهيم السائدة فيه عن نواحي الحياة الأساسية مثل مفهوم العلاقات الأسرية، ومفهوم النجاح والمفاهيم المتعلقة بالملكية والقوة والسيطرة الذاتية (حسن سلمان حسن وآخرون، 2005، ص176).

وهناك من ركز على الطريقة والأسلوب الذي ينظم من خلاله الإنسان حياته بحيث تشير إلى الطريقة التي نظمت بها المجتمعات البشرية حياتها والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة الحاجات البشرية وتتكون من البنية الأساسية المادية التي شيدها الإنسان -البيئة المشيدة- ومن النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها (رشيد الحمد،1979، ص24).

ثالثا: مفهوم البيئة الرقمية:

لم يستقر بعد مفهوم البيئة الرقمية على معنى محدد أو جامع، رغم الكثير من الاسهامات والتعريفات التي حاولت تقديم معاني في أغلبها متداخلة مع مفاهيم أخرى مشابهة، مثل الفضاء الافتراضي، بيئة الأنترنت، الفضاء المعلوماتي، المجتمع الرقمي، وغيرها من المفاهيم التي تشترك في كونها بيئات ناتجة عن الاندماج الحاصل بين العناصر التكنولوجية الثلاثة وهي تكنولوجيا المعلومات وكذلك تكنولوجيا الاتصال والثورة المعلوماتية.

ومن التعريفات المقدمة في هذا الإطار حول مفهوم البيئة الرقمية هي أنها جزء من المجتمع الرقمي، يتم اتصال الأفراد بها من أي مكان وزمان وأي حاسوب، وقد تكون المعلومات والبيانات فيها منظمة أو غير منظمة، ومن ثم يحتاج الفرد فيها إلى استخدام استراتيجيات وطرق معينة لاستخدام واسترجاع البيانات والمصادر التي يبحث عنها، أي أنها بيئة الإنترنت. إذن يمكن أن نطلق على شبكة الإنترنت مسمى البيئة الرقمية، وتحدد المكونات الأساسية للبيئة الرقمية في ضرورة توافر ما يلي: المعلومات بشكل رقمي، التكنولوجيات الحديثة لنقل المعلومات والاتصال، الوسائل التقنية المتطورة للوصول إلى المعلومة بأسرع وقت ممكن وبأقل تكلفة، الأدوات البحثية المتنوعة والمتميزة، (محمد سيد بيومي، 2003، ص 364).

وهناك من يعرفها باعتبارها الفضاء الافتراضي أو الفضاء الإلكتروني أو فضاء المعلومات والذي يعني بيئة متعددة الجوانب معقدة بقوة، نشأت من أشكال لا يمكن تخيلها من الحياة الرقمية، وظهرت كيانات اجتماعية مفترضة لم تكن موجودة في السنين القليلة الماضية (أحمد محمد صالح،2005).

هي أيضا مجتمع يرتبط أعضاؤه من خلال الاتصال عبر الإنترنت، وتجمع بينهم اهتمامات خاصة، وفقا لقواعد معينة، ويميلون إلى تعظيم قيمة الحرية فيما بينهم، ولديهم قدرات عالية في استخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة، وإقامة العلاقات والتعارف وبناء جماعات افتراضية ذات اهتمامات مختلفة، عن طريق خدمات التواصل المباشر مثل الاطلاع علي الملفات الشخصية للآخرين، أو عن طريق خدمات التواصل المباشر، مثل: إرسال الرسائل، أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين، ومعرفة أخبارهم، ومعلوماتهم التي يقومون بعرضها (علي سيد إسماعيل، 2020، ص33).

فالبيئة الرقمية إذن بمعنى الفضاء المعلوماتي هي عبارة عن حلقة تحاول جذب الفضاء العقلي إلى الفضاء الفيزيائي عبر معالجة رقمية تسعى إلى عولمة الفضاء العقلي لكي تمتد حدوده على عموم رقعة العالم الفيزيائي من خلال استعارة معاني مفاهيمه التقليدية في بناء المفاهيم الفريدة للفضاء المعلوماتي. ويمثل هذا الفضاء محاكاة رقمية لمفردات العالم الفيزيائي، ويتم التعامل مع الوحدات الرقمية المستحدثة التي تتميز بكونها عبارة عن بيئات افتراضية بالغة التعقيد عبر مواقع الويب التي نستعرضها أثناء إبحارنا في الفضاء

المعلوماتي. ولا تقتصر بيئة الفضاء المعلوماتي على الفضاء العقلي للحاسوب، على الرغم من أن هذا العامل يشكل عنصرا رئيسا من عناصره، لأن بعض مكوناته، تبقى موجودة ضمن الفضاء الفيزيائي بالرغم من توقف الحاسوب عن الارتباط معه (حسن مظفر الرزو، 2007، ص 21).

وعليه فالبيئة الرقمية هي مجموعة شاملة من التكنولوجيات والأدوات والموارد الرقمية والمنصات والبرامج والبيانات والاتصالات والمعلومات التي تشكل بيئة للتفاعلات الرقمية وتوفر الخدمات الرقمية للمستخدمين سواء كانوا أفرادا أو مؤسسات أو حكومات أو مجتمعات. وتشمل هذه الموارد الأجهزة الإلكترونية مثل الحواسيب والهواتف الذكية والأجهزة اللوحية والأجهزة الأخرى التي تتيح الاتصال بالإنترنت، وكذلك البرمجيات والتطبيقات والمواقع الإلكترونية والشبكات الاجتماعية والخدمات الإلكترونية المختلفة. كما أن هذه البيئة تتميز بأنها تتغير باستمرار مع تطور التكنولوجيا والابتكارات الجديدة، مما يؤدي إلى تأثيرات كبيرة على الطريقة التي نتفاعل بها مع العالم الرقمي وبعضنا البعض. ومن المهم أن نلاحظ أن البيئة الرقمية تمثل مجتمعا افتراضيا يتم إنشاؤه وفقا للثقافة والقيم التي يتبناها المستخدمون.

رابعا: تشكل السلوك الاتصالي للفرد في ظل البيئة الاجتماعية والثقافية

يقصد بالسلوك مجموع النشاط النفسي والجسمي والحركي والفسيولوجي واللفظي الذي يصدر عن الإنسان وهو يتعامل مع بيئته ويتفاعل معها (محمد شفيق، 2002، ص11). وعليه فالسلوك الاتصالي يشير إلى كل الأفعال والممارسات التي يستخدمها الفرد للتواصل والتفاعل مع الآخرين، أي أنه كل ما يتعلق بالطريقة التي يتفاعل بها الأفراد مع بعضهم البعض سواء من خلال الاتصال اللفظي وغير اللفظي أو الجسدي أو بأي وسيلة أخرى مثل المظهر وتوجيه النظر وتعابير الوجه والتفاعلات الاجتماعية والثقافية والنفسية.

تلعب البيئة الاجتماعية دورا كبيرا في تشكيل أبرز ملامح سلوك الأفراد فيها، ويتم ذلك في مختلف المراحل العمرية التي يمر بها الفرد، بدءا بمرحلة الطفولة المبكرة ففي هذه المرحلة تساهم التقاليد والأعراف والأنظمة المجتمعية في تكوين سلوك الطفل وتوجيهه، ويرتكز المحور الأساسي للنمو في هذه المرحلة على قيام الطفل بتعلم وممارسة مجموعة من المهارات الجسمية والعقلية (حسين حسن سليمان،2005، ص130).

كما تلعب مؤسسات المجتمع التعليمية والثقافية والدينية أدوارا مهمة في غرس المفاهيم والتقاليد التي يتوارثها المجتمع في نفوس الأطفال خلال هذه المرحلة عن طريق تنقيح المناهج الدراسية بصور مختلفة من هذا المخزون الثقافي، وهناك أجهزة الإعلام التي تسعى إلى تزويد الأطفال بأفكار وتصورات ومبادئ تعرفهم بالخصائص الرئيسة والأساسية للمجتمع الذي يعيشون فيه، بالإضافة إلى المؤسسات الدينية والتي توضح للطفل المفاهيم الدينية والروحية التي تتعلق بالدين وما يتضمنه من حقيقة الحياة وارتباط الفرد بأساسيات الحياة الكريمة(حسين حسن سليمان،2005، ص155).

وتتأثر سلوكيات واتجاهات الأفراد خلال المرحلة المتوسطة من العمر بطبيعة وظروف البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها، حيث نجد أن الأفراد خلال هذه المرحلة قد عاشوا في بيئة معينة وتعلموا مجموعة من القيم والمعارف والخبرات المرتبطة بالمجتمع وظروفه المختلفة بالإضافة إلى خبرتهم في التفاعل مع الأنساق الاجتماعية الموجودة بالمجتمع على مدار سنوات طويلة، الأمر الذي يؤثر في منظومات السلوك التي يستخدمونها في تسيير حياتهم وإشباع احتياجاتهم. لذلك فإن سلوك الفرد تجاه المجتمع الذي يعيش فيه سوف يتأثر بالضرورة في مستوى التقارب والارتباط والتفاعل مع المجتمع (حسين حسن سليمان،2005، ص239).

وينتج عن كل هذا أن السلوك الجماعي يتأثر بعوامل أو دوافع اجتماعية ويهدف للمحافظة على كيان الشخص باعتباره عضوا في جماعة كالأسرة والمدرسة وفريق اللعب والمهنة، هذا والسلوك الاجتماعي يشمل توافق الشخص في تعامله مع غيره (حسن محمد خير الدين، 1984، ص 13).

كما أن هناك تأثيرا متبادلا بين الإنسان والبيئة، فهو يؤثر فيها كما أنه يتأثر بها، وهذا التأثير وذلك التأثر يحدث أثناء تفاعل الفرد مع غيره من الأفراد والجماعات في المجتمع بدءا من أمه وأسرته إلى شلة جيرته وأصدقاء دراسته، وأيضا زملاء عمله وكل من يتفاعل معهم في حياته (محمد شفيق، 1997، ص105) ، وبالتالي فأثناء تفاعل الفرد مع بيئته تحدث له انماط مختلفة من عمليات التأثير، بعضها يرتبط بالبيئة الاجتماعية، ونطلق عليها عمليات اجتماعية وبعضها يتعلق بأحواله الذاتية ونطلق عليها عمليات نفسية(محمد شفيق،1997، ص11).

خامسا: البيئة الرقمية كمصدر جديد للتنشئة الاجتماعية غير المقصودة

إن نزع الطابع الاجتماعي عن أي إنسان إلى الدرجة التي يتغير بها تغييرا جذريا يتطلب التلاعب بالأبنية الاجتماعية الكبرى التي تتحكم في إحساسه بهويته (وليم لامبرت، وولاس لامبرت، ترجمة سلوى الملا، 1993، ص31). وعلى الرغم من أن مواقف السلوك الأكثر مقاومة قد تتغير مع الزمن، إلا أن البشر الأقل صلابة القائمين بالمواقف يتغيرون وفقا للبيئة المباشرة (وليم لامبرت، وولاس لامبرت، ترجمة سلوى الملا، 1993، ص35).

إن الثقافة شيء محدد وتكويني ومنقول ومتعلم عن طريق الاتصال، بقدر ما يمكن القول بأن العكس صحيح. إن الثقافات الأصلية والثقافات الفرعية ليست إلا نتاج النشاط البشرى، ضمن العلاقات والجماعات والمنظمات والمجتمعات والتخطيطات والصور الذهنية والقواعد وأنواع السلوك الذي نكتسبه بوصفنا أفرادا. إذن هناك في واقع الأمر علاقة ذات تأثير متبادل بين الاتصال البشرى والثقافة، تشكل ثقافاتنا عن طريق الاتصال، وثقافاتنا في المقابل تشكل قواعد الاتصال ونماذجها. إن تقنية الاتصال تؤدى دورا حيويا في نشوء الثقافة وتطورها بطريقتين: أولا، لأن التقنية توسع وتزيد من إمكاناتنا في الإبداع والنقل والتخزين، لذا فإنها بهذا توسع مجال البيانات المتوافرة المشتركة لجميع الأفراد في المجتمع. هذا الرصيد من البيانات يتألف من الأخبار والمعلومات وبرامج الترفيه التي تقدمها وسائل الإعلام التقليدية، إلى جانب ما تقدمه مؤسسات الاتصال الجماهيري الأخرى كالمكتبات والمتاحف (برنت روبن، ترجمة نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة الملك سعود، 1991، ص432).

إن الفرد في الزمن الحالي يعيش في زمن التكنولوجيا الحديثة وثورة المعلومات وشبكة الاتصالات العريضة والمتسعة، فالفرد الآن لا يخضع فقط لتأثيرات البيئة الاجتماعية المادية المباشرة التي تتمثل في الحي والمنطقة السكنية التي يعيش فيها ولكنه يتعايش مع ثقافات وقيم واتجاهات تنبع من مجتمعات مختلفة ومتباعدة الأطراف (حسين حسن سليمان،2005، ص181).

فنرى أن وظيفة الأسرة ودورها في تنشئة أبنائها وفقا لقيمها الدينية وتقاليدها الاجتماعية والحضارية، قد ضعفت وحلت محلها أهم تقنيات الاتصال، التي دخلت إليها وأدت إلى تمزيق نسيجها الاجتماعي وعلاقاتها الاجتماعية وسلبتها وظيفتها في التنشئة الاجتماعية. فإذا ما لاحظنا نوعية البرامج والمضامين التي تبثها هذه التقنيات الاتصالية فهي في معظمها يتبنى الترويج للثقافة الغربية، وما تحمله من ثقافة دخيلة والترويج لها لنشرها بين الشباب بدلا عن ثقافة الاحتشام والحياء والمسؤولية الاجتماعية والوطنية والكرامة والعفة والشجاعة والفضيلة والتكافل والتضامن الاجتماعي (حارث علي العبيدي، هبة عدنان النعيمي، 2015، ص123).

فالأجهزة التكنولوجية من حواسيب وهواتف ذكية التي ترتبط بالشبكة المعلوماتية (الأنترنت)، هي وسيلة اتصال مهمة، لحاجتها الملحة في الحياة الاجتماعية الحالية، أصبحت لغة العصر بعد أن تحول العالم إلى قرية صغيرة يستطيع الفرد فيها الدخول إلى أي مكان وفي أي زمان، وتأتي خطورتها في تأثيرها على الأفراد من خلال ضعف رقابة وسيطرة الأسرة على ضبط سلوكيات أبنائها سيما المراهقين. وإن دخول الإنترنت إلى المنازل وما يرافقه من سوء اختيار للمواقع لبعض فئات المجتمع، فسح المجال ويزيد من فرصد دخول عادات وتقاليد وقيم دخيلة تختلف عن عادات وتقاليد وقيم وأفكار المجتمع، وتدفع في كثير من الأحيان إلى التفكك الأسري

والانحراف، بعد أن أصبحت أرض خصبة لذلك، وخصوصا من شريحة الشباب، لما لهم من دور وأثر كبير في المجتمع. وهذا بالتأكيد نتاج لضعف أداء مؤسسات المجتمع الرسمية وغير الرسمية، منها الأسرية والسياسية والاقتصادية والأمنية (حارث علي العبيدي، هبة عدنان النعيمي، 2015، ص141).

يؤدي الفضاء المعلوماتي دورا فاعلا في تغيير الكثير من السمات الطبوغرافية لخريطة التواصل والتفاعل القائمة حاليا، وبات هذا الفضاء الجديد يؤدي دورا فاعلا في ترسيخ مبدأ تغييب الهوة التي تفصل بين الفضاء الشخصي، وفضاء الموقع الاجتماعي، ويساهم في تعميق ظاهرة انهيار الزمان الفيزيائي التقليدي، وإلغاء القيود الصارمة للفضاء التقليدي، بعد أن زالت الحدود المكانية، ولم يعد للزمان حكم على أفعال نمارسها بين أماكن متباعدة. ولم نعد نفتقر إلى مكان محدد لكي يلم شتاتنا، أو موضع معين على الخارطة الجغرافية، نمارس من خلاله أنشطتنا، لأن التواصل ضمن بيئة الفضاء المعلوماتي لا يفتقر إلى مبدأ التوطن المكاني، ولكن تقتصر الحاجة فيه، إلى عقدة أو بضع عقد معلوماتية، يمكن أن نتواصل من خلالها مع الآخر، عبر ألياف الاتصالات، والوسائط المتعددة (حسن مظفر الرزو، 2007، ص111).

وكما أشار كثير من الكتاب والمفكرين، فإن وسائل الإعلام تزود المجتمع فعلا بوجهة نظر عن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والجمالي والديني، وبهذه الطريقة تساهم تقنية الاتصال في نقل الثقافة وحركتها، كما أن الوسائل تؤدى دورا أساسيا في عملية التكيف الاجتماعي للفرد لتساهم في الوقت نفسه في النظام الاجتماعي والاستقرار ضمن المجتمع. وتأثير تقنية الاتصال على الأفراد الذين لم يشتركوا في تكوين الثقافة كبير، لأنها تستطيع أن تنشر لهم المعرفة والرموز والقواعد المتطورة ضمن الثقافة الأصلية أو الثقافة الفرعية إلى حد كبير. فمع القدرة المتزايدة في النقل والنسخ وتخزين البيانات، فإن معارف جيل ما لن تزول بزوال الذين صنعوها، بل على العكس تصبح هذه المعارف جزءا من البيئة الرمزية. ويمكن نقل هذه البيانات عبر الفضاء، لتصبح في متناول أي فرد أو جماعة تمتلك التقنيات المناسبة، إلى جانب أفراد المجتمع الذي نشأت فيه (برنت روبن، ترجمة نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة الملك سعود، 1991، ص433).

وقد استفادت مئات المجتمعات حول العالم ثقافيا من إمكانات تقنية المعلومات والاتصالات في هذا الصدد، والآن هناك اتجاه قوي في المشهد الثقافي العالمي يمضي تحت شعار المعرفة من خلال "التشبيك" أو استغلال قوة التكنولوجيا في الربط والتشبيك لتحقيق تنمية ثقافية ومعرفية قائمة على التواصل والتبادل المستمر للبيانات والمعلومات والمعارف بين مجموعات من البشر يتصف من ينضوون تحت لوائها بأنهم ذوو أفكار متجانسة أو أهداف مشتركة أو اهتمامات ومصالح موحدة، وفي هذا السياق تزخر الإنترنت بآلاف من التجمعات المختلفة القائمة على فكرة الربط والمشاركة عبر الشبكة (عبد الغني عماد، 2012، ص65).

سادسا: سمات وملامح البيئة الرقمية: من أهم السمات التي تتسم بها هذه البيئة نذكر ما يلي:

1- التباعدية الزمانية-المكانية (تجاوز حدود المكان والزمان): وهذا يعني الانفصال بين الزمان والمكان، اللذين كانا مترابطين في المجتمعات التقليدية عن طريق الموضع وإعادة ربطهما في أشكال تسمح بالتحديد الدقيق لمنطق الزمان والمكان في الحياة الاجتماعية (عبد الغني عماد، 2012، ص25). إن فصل الزمان عن المكان وإعادة تركيبهما، إضافة إلى آليات التخلص من القيود الخارجية وانزياح قواعد الثقة، تقدم أساسا للتحرر من تبعية القواعد والممارسات المعدة سلفا في البيئة التقليدية (عبد الغني عماد، 2012، ص27). هذا بالإضافة إلى توفر فرصة الاتصال المتزامن الذي يعتمد مبدأ تحقيق الاتصال عبر الإنترنت بين أكثر من مستخدم في آن واحد أي في الزمان الحقيقي. ويشمل هذا النوع من الاتصال المشاركة في الدردشة، واستعراض المواقع (حسن مظفر الرزو، 2007، ص277). من جهة أخرى تسري ضمن بيئة الإنترنت اتصالات غير متزامنة لا تتطلب حصول عملية الاتصال الآني بين مستخدمي الشبكة. وفي كلتا الحالتين توفر لنا البيئة الافتراضية فرصة تأخير الإجابة على المسألة المطروحة لفترة زمنية أطول مما تتطلبه مخاطبة الآخر وجها لوجه من سرعة استجابة في الواقع

الميداني. وعليه يمكن القول إن الفضاء المعلوماتي يقوم بإنشاء فضاء فريد موقت يحتوي الوقت التفاعلي الذي يستوعب ضمن امتداداته المتشعبة الاتصالات القائمة فيه، فيوفر فجوة زمانية تستوعب الحدث ضمن المتغير التفاعلي (حسن مظفر الرزو، 2007، ص278).

2- الانفتاح وتخليص العلاقات الاجتماعية من طوق بيئات التفاعل المحلية. ساعدت على الانفتاح والعالمية، لسهولة تواصل الأفراد مع غيرهم متخطية جميع الحواجز، والقيام بتبادل المعلومات والآراء والتواصل مع العالم، وتبادل الأفكار والخبرات التي لم تكن تصلهم من قبل ظهور هذه التكنولوجيا (علي سيد إسماعيل، 2020، ص45). وهذا لا يقتضي -بالضرورة- أن التفاعل الاجتماعي يجري من بعد، مع أن هذا هو ما تكون عليه الحال، ولكن تلك العناصر اللامحلية تكون وسيط هذا التفاعل (عبد الغني عماد، 2012، ص26).

إن هذه الشبكات المتنوعة والخصبة بمحتواها وأذرعها المتشابكة بين نقاط ارتباطاتها اللامتناهية، قد أنشأت نوعا جديدا من الأطر الاجتماعية الشاملة التي لم تعد مرتبطة كالسابق بأواصر الكيانات والهويات الاجتماعية - السياسية ذات الصلة بدائرة المتغير المحلي، أو الوطني، أو الإقليمي، ويمكن أن ينظر إلى هذا النمط من التراتبية الاجتماعية - العالمية بوصفها شبكات معلوماتية شاملة ذات طبقات ومستويات متعددة، تقبع فوق الحدود الإقليمية التقليدية (حسن مظفر الرزو، 2007، ص 264).

3- حرية المناقشة والتعبير: الشبكة لا توجد فيها ثقافة سرية، فثقافة الإنترنت لا تتكتم ولا تحجب ولا تمنع فحرية التعبير والنقاش مكفول للجميع ولدى الإنترنت نزعة وميول ديمقراطية قوية. فهي منتدى وساحة شاسعة تشجع العديد من الناس على التفاعل مع بعضهم البعض، فالشبكة تجعل من الممكن للمواطنين حول العالم المشاركة على الملأ في حوار عام. وهيكلها وبنيتها غير المركزية يساعد الأفراد على تجنب وتجاوز كل بوابات الرقابة والتحكم في تدفق المعلومات والسلع. ومع ذلك فان هذه الميزات التي توفرها الإنترنت يمكن التحكم فيها وتحديدها بواسطة شفرة وكود من خلال برامج معينة يتم من خلالها حجب ما هو غير مرغوب (أحمد محمد صالح،2005).

4- تجاوز الحدود الثقافية والشعور بالانتماء القوي لثقافة مجتمع الإنترنت: وبالتالي تميزت المجالات الاتصالية بالعالمية وسقوط الحواجز الثقافية بين أطرافها (علي سيد إسماعيل، 2020، ص45). الكثير من الناس، الذين ينتمون للعديد من الثقافات يتصلون بعضهم ببعض من خلال الإنترنت، ولا أحد يجعل كل هؤلاء الناس يتصلون كل يوم، ويقضون الوقت في قراءة قوائم المناقشة وإرسال البريد الإلكتروني، والناس أيضا يتواصلون عبر الإنترنت لأنها أصبحت أكثر من مجرد نادي للنخبة، فهي أصبحت مجتمعا تخيليا. فهي شبكة شعبية وهو جانب يقوى الإحساس بالانتماء لمجتمع الإنترنت، فهم يملكون خيال مشترك وإحساس قوى بالزمالة، وبالدفء والمودة، ويمارسون أيضا أشكال غير عادية من المرح المشترك، قد يؤدى إلى أن تستبدل الشبكة بمكان الحياة الاجتماعية السائدة (أحمد محمد صالح،2005).

5- الأحاسيس المختزلة: إن طبيعة التفاعلات الحية التي توفرها بيئة الفضاء المعلوماتي تحمل معها تغييرا حاسما على أنماط الاتصال القائمة بين الأفراد، ويتجلى هذا الأمر بوضوح في إعادة تشكيل معالم شخصية الآخر على الإنترنت من خلال ممارسة سلسلة من عمليات الاختزال على المظاهر التقليدية للشخصية الإنسانية. فتمارس عملية التغيير فعلها بتغييب الانفعالات التي نلاحظها على وجوه الغير وجميع مفردات لغة الجسد التي تمنحنا فرصة أكبر لمعرفة ما يختلج في نفس المتحدث معنا، ثم تعمد إلى معالجة نبرة الصوت، فتنتج لنا أنماطا جديدة من السمات السلوكية والعلاقات التي تجمعنا مع الآخر الذي يجلس قبالتنا ويتفاعل معنا عبر الوسط البيئي للإنترنت (حسن مظفر الرزو، 2007، ص274).

6- التواصل النصي: بدأ النص يؤدي دورا جديدا في التعبير عن الأحاسيس التي تغزو أجسادنا عندما نتعامل مع الآخر بدلاً من اللغة المنطوقة، ولغة أعضاء الجسد التي تسعفنا عندما لا يسعفنا الكلام بعبارة تعبر عما

يجيش في نفوسنا، وأصبحت الأدوات المعلوماتية السائدة في الإنترنت مثل: البريد الإلكتروني، والدردشة، والتخاطب الفوري نمطا سائدا للاتصال بالغير عبر الفضاء المعلوماتي. لقد تحول الإنسان بكثافة باتجاه تداول الخطاب وتغيير دفة أحاسيسه نحو النص المكتوب، فتعمقت لديه قدرات إدراكية جديدة أشاحت بوجهها عن ممارسة حرفتي الكلام والإصغاء، لكي تتوجه بكليتها نحو تحويل أفكارنا وأحاسيسنا إلى نصوص مكتوبة، وبروز الحاجة إلى إتقان حرفة قراءة خطاب الغير، بعد أن أصبحت هويتنا حبيسة النصوص التي ننتجها عبر الأدوات المعلوماتية المنتشرة بسخاء في غرف الدردشة، وباتت علاقاتنا مع الآخر عبارة عن وصلة اتصال عبر العقد المعلوماتية للشبكة (حسن مظفر الرزو، 2007، ص275).

7- الاتصال السريع والاستغراق في عملية الاتصال: داهمت شبكات الاتصال الاجتماعي حياة الأفراد بشكل إجباري وحتمي، بحيث أصبحت هي بحد ذاتها بمثابة محرك بحث يلجأ لها الأفراد للوصول عما يبحثون عنه فالشبكات لديها القدرة على نقل الأخبار والمعلومات بسرعة فائقة، فأي حدث أو موقف يحدث في أي مكان يمكن نقله وتداوله عبر الشبكات الاجتماعية في نفس الوقت (علي سيد إسماعيل، 2020، ص46).

8- مرونة الهوية: إن غياب ظاهرة الاتصال وجها لوجه مع الآخر تحمل معها آثارا جانبية غير مسبوقة على مظاهر السلوك التي تعود الإنسان استخدامها للتعبير عن ذاته، وترسيخ معالم هويته في ظل الفضاء المعلوماتي. كما إن الاقتصار على الاتصال الرقمي مع الغير، وفي ظل غياب المحددات الفيزيائية التي تساهم في إضفاء صفة الوجود العيني على نفوسنا، تتضاءل الحاجة أمام الإفصاح عن أسمائنا الحقيقية، ويمكن لنا أن نستعير أسماء جديدة، أو ننتحل شخصيات مزيفة، طالما ترتكز عملية اتصالنا مع الآخر على مفهوم تغييب الوجود العيني في نص مكتوب عبر بيئة معلوماتية افتراضية صرفه (حسن مظفر الرزو، 2007، ص275).

سابعا: السلوك بين البيئة الاجتماعية الثقافية والبيئة الرقمية الجديدة

ونتحدث هنا حول معايير السلوك المتوقعة في السياقات الرقمية، فعند مقارنة معايير السلوك في الحياة الطبيعية بمثيلاتها في البيئة الرقمية نجد أن هناك اتفاقات واختلافات بينها، فالمعايير التي تحكم السلوك الطبيعي معايير طويلة المدى، في حين أن السلوك بالعالم الرقمي يغلب عليه طابع التغير السريع والجذري الذي يجب أن يجاريه كل فرد. بالإضافة إلى ذلك فالعالم الطبيعي ينطوي على معرفة الأفراد وأدوارهم وبيئاتهم، والتي تكون محكومة بعدد من الفضائل، وللبيئة الرقمية أيضا سياقها ولكنه أوسع وأكبر، فعند نشر شيئا ما على الشبكة العنكبوتية، يجب أن نضع في الاعتبار أننا نتعامل مع جمهور عريض من خلفيات وثقافات مختلفة، وهنا يكون دور الأخلاق بارزا (تامر المغاوري الملاح، 2017، ص11).

إن سلوك الأفراد في البيئة الرقمية أصبح يتشكل في سياق فضاءات اجتماعية وثقافية تتوافر في ظل بيئة معلوماتية مستحدثة، فليس ثمة شك حول حجم وتأثير ما أحدثته تقنية المعلومات من نقلة واسعة في الوسط البيئي التفاعلي بين الإنسان والحاسوب من جهة، وبينه وبين مستخدم آخر يتواصل معه من خلال الفضاء المعلوماتي من جهة أخرى، كذلك فقد ساهمت البيئة المعلوماتية في توافر أرضية خصبة لإنشاء مجموعة من الفضاءات التخيلية التي تجمعنا مع الآخر في أنساق تواصل متنوعة باتت تشكل موردا جديدا لحوار رقمي بين الثقافات (حسن مظفر الرزو، 2007، ص109).

إن معظم العلماء يميلون إلى الفرض الذي يقول أن أعضاء المجتمع الواحد يشتركون في ثقافة واحدة، وإن المجتمعات المختلفة لا تملك نفس الثقافة، وعليه إذا وصفنا مستعملي شبكة الإنترنت والفضاء المعلوماتي بأنهم يمتلكون ثقافة متميزة، إذن فهم يحتاجون أولا أن يكونوا مجتمعا واحدا، وكيف يكونون مجتمع واحد مع الحجم الكبير لامتداد الإنترنت عبر الفضاء العالمي الواسع، هذه المعضلة يمكن أن تحل بالنظر إلى الإنترنت كبنية فوقية مجتمعيه، وهو مصطلح لكينونة معقدة تعتمد على العديد من المقومات (أحمد محمد صالح، 2005). وإذا تخيلنا الشبكة، ليس كمجتمع منفصل عن الخطوط العامة السائدة والتي تميز

مجتمعات العالم، فهي مكونات متشابكة ومتراكمة للكثير من تلك الخطوط، وهذا يمكن أن يعين على تعريف الإنترنت كوعاء لبنية فوقية مجتمعية وهي بذلك متحررة من التزامات المجتمعات الأخرى في القيام بوظائف التناسل وتوفير الغذاء والمسكن، استنادا على حقيقة واضحة أن أعضاء مجتمع الإنترنت هم في نفس الوقت أعضاء في مجتمعاتهم التقليدية التي تدعمهم (أحمد محمد صالح، 2005).

وبالرغم من أن الإنترنت ليست مجتمعا مستقلا، إلا أنها تكون بنية فوقية مجتمعية تمتد فيها الكثير من الخطوط العامة التي تميز المجتمعات السائدة وتعتمد عليها لاستمرار وجودها، و بينما هي ترث العديد من العناصر الثقافية من المجتمعات التي تمتد عبرها، رغم ذلك فهي تملك ثقافة خاصة ومميزة، وبمعنى آخر بالرغم من أن ثقافة الإنترنت توصف بالتميز الواضح المختلف، إلا أنها تشترك في العديد من العناصر مع الثقافات السائدة الأخرى، فثقافة الإنترنت هي امتداد طبيعي للعناصر السائدة في الثقافات الأخرى، فمعظم ثقافة الإنترنت مأخوذة من هذه الثقافات السائدة، لكن هناك الكثير أيضا من تلك العناصر حدث لها تكيفا ثقافيا مع البيئة الجديدة وهي الإنترنت (أحمد محمد صالح، 2005).

بنظر الكثيرين لثقافة الأنترنت والمستمدة أصلا من ثقافة منشئيها هي الثقافة الغربية الطاغية حاليا وفق مبدأ طغيان ثقافة الأمة السائدة والمزدهرة في العالم، وتبعية الثقافات الأخرى لها، (خالد غسان يوسف، 2013، ص73) فالثقافة التي تمتلك وسائل اتصال قوية يمكنها أن تهيمن على الثقافات الأخرى، فتعمل على خلق قيم وسلوك تروج لها وتصدرها على أنها الأنموذج الأمثل في الحياة الاجتماعية اليومية، والتي قد تتقاطع مع منظومة القيم لتفرز تداعيات ومشكلات اجتماعية داخل وخارج الأسرة، التي قد تؤدي إلى المقارنة بين الثقافات لتفرز التنافر المعرفي، وبالتالي ستحدث عملية صراع بين الأفكار التي يتعرض لها الفرد وبين معتقداته عن الواقع الذي يعيش فيه. وقد تكون التقنيات وسيلة هدم وبناء للإنسان من خلال ترسيخ القيم أو هدمها في الوقت ذاته إذا ما أساء توظيفها، إذن الأمر مرهون في استخدامه وتوظيفه من قبل الإنسان (حارث علي العبيدي، هبة عدنان النعيمي، 2015، ص101).

وما زاد في انتشار هذه الثقافة أيضا هو تراجع معدلات القراءة، حيث أصبح البيئة الرقمية منافسة للمؤسسة التربوية، إن لم يكن قد أصبحت بديلا للأسرة والمدرسة في بعض المجالات. ومما يزيد من فعالية هذه الثقافة المعولمة، أن التبادل الثقافي الحالي هو تبادل غير متكافئ بين ثقافات متقدمة تمتلك إمكانيات واسعة، وثقافات تقليدية لا تزال أدواتها الموروثة التاريخية هي ذاتها. وبذلك يكون الحاصل غزوا واستتباعا ثقافيا، بل هيمنة احتوائية أكثر منها عملية تثاقف أو تبادل ثقافي، بهذا تصبح ثقافة العولمة فعل اختراق ثقافي رمزي على سائر الثقافات (عبد الغني عماد،2012، ص14).

ثامنا: القيم والسلوك الاتصالي في البيئة الرقمية

يرى بيومي أن القيم تعمل كقوى اجتماعية في تشكيل اتجاهات الانتقاء السلوكي لدى الأفراد وهي التي توجه الفعل الاجتماعي نحو الأهداف الخاصة أو العامة، فالقيم في الحقيقة هي أهم العوامل في حياتنا الاجتماعية التي تشكل المعايير التي بدورها تحكم على الفعل بالصواب أو الخطأ، ومن خلال ذلك ما تحدثه القيم من تماسك وانتظام، فالقيم هي رموز أو صورة المجتمع في عقول أفراده (محمد أحمد بيومي، 2004، ص17). وقد عرف عالم النفس الأمريكي ألبورت القيم "بأنها اعتقاد يوجه سلوك شخص ما حسب معيار الأفضلية (مصطفى مولود عشوي، 2002، ص 106).

إن وجود القيم داخل المجتمع يمثل ضرورة اجتماعية ذلك لأن الثقافات القائمة في المجتمع لديها مجموعة قيم معينة يحصل عليها الفرد تدريجيا وبذلك تعمل القيم علي التماسك الاجتماعي واستمرارية المجتمع في الوجود فهي ضرورية لبقائه ومن ثم تتجه أفعال الأفراد وفقا لما تمليه هذه القيم من توجهات

طالما أنها محافظة علي بقاء المجتمع وفي إطار ذلك أيضا يحافظ النسق الاجتماعي السائد على الأنماط القيمية ورموزها الثقافية التي تعتبر في بعض الأحيان بمثابة حوافز بسلوك الإنسان أو أهدافا له في أحيان أخري وإن كان هؤلاء الأفراد يتمايزون في حوافزهم وأهدافهم من وجهة النظر القيمية، (إسماعيل حسن عبد الباري، 2000، ص 136).

إن المستحدثات التكنولوجية لا تقف على حدى بعيدا عن القيم الإنسانية، ففي السنوات الأخيرة ظهرت ثلاث اتجاهات لتفسير ذلك، الاتجاه الأول يقرر أن القيم الإنسانية التي يحملها مصممو نظم الكمبيوتر تظهر في تطبيقاتهم التي يبتكرونها وتصبح القيم التي يحملونها جزءا من التكنولوجيا نفسها، والاتجاه الثاني نقيض الأول ويقرر أن القيم تكمن في مستعملي التكنولوجيا أنفسهم، وليس في التكنولوجيا نفسها، لكن هذه النظرة تهمل وتتجاهل خبرتنا اليومية مع الأدوات التي نستعملها، فهي توصلنا الى مهمة معينة بطريقة معينة لكل أداة، وهنا تتدخل الثقافة بما تحمله من قيم، وهو ما يعكسه الاتجاه الثالث، حيث يقرر أن الناس بما تحمله من قيم، تصمم وتصنع الأدوات التكنولوجية الملائمة لكل موقف وتجعل الأدوات أكثر مناسبة لبعض الاستعمالات عن الأخرى (أحمد محمد صالح، 2005).

فالتكنولوجيا كوسيط اتصال لها تأثير على العلاقات الشخصية والمهنية وما يصاحبها من قيم إنسانية، فالاتصالات الإلكترونية اتصالات عمياء لا ترى تدرجات واستمرارية وهرمية العلاقات الاجتماعية، فهي تسمح للأشخاص بالمشاركة التعادلية، والتجرد من الطبيعة الشخصية للاتصال وانتهاك تقاليد وعادات الاتصال المعتادة، والتي توجه عادة سلوك التفاعل الاجتماعي، لذلك لا نفاجأ أن الدراسات أظهرت أن الناس في الاتصالات الإلكترونية أكثر حرية وغير مقيدين بالعادات والتقاليد والأخلاق (أحمد محمد صالح، 2005).

إن عدم التكامل بين القيم والسلوك قد يصبح ظاهرة اجتماعية بسبب تغيرات سريعة يمر بها مجتمع ما أو بسبب النفاق الاجتماعي حيث يظهر الأفراد عكس ما يبطنون لمراعاة مشاعر الآخرين أو لتجنب الضغوط النفسية التي قد يتعرضون إليها إن عبروا عن حقيقة القيم التي يؤمنون بها. وقد يكون السبب راجعا أصلا إلى الجهل للعلاقة الموجودة بين الإيمان (الاعتقاد) والفعل كما قد يرجع إلى تغير القيم نفسها بسبب تبني اعتقادات جديدة واعتناق نظام فكري جديد (مصطفى مولود عشوي، 2002، ص 109).

ويرى تامر المغاوري الملاح أن مفهوم الأخلاق - حسب ما يعتقد به كل مجتمع في الوقت الحاضر- سيذهب بلا رجعة، لتسود العالم في المستقبل معايير أخلاقية واجتماعية جديدة من لا يستطيع أن يواكبها سيجد نفسه خارجا عن الأنماط الإلكترونية الاجتماعية المتعارف عليها والمقبولة لدى الأجيال القادمة؛ وبالتالي لن يمثل جزءا من ذلك المجتمع، وسيكون للمثاليات قيم مختلفة دون انهيار كامل للقيم المجتمعية والروحية الحالية. ولكن سيكون المتمسك بتلك القيم شخصا غريب الأطوار لا يقبل التغيير (تامر المغاوري الملاح، 2017، ص11).

تاسعا: إشكاليات قيمية ثقافية في البيئة الرقمية

1- إشكالية الهوية المعلوماتية: توفر الإنترنت بيئة خصبة لممارسات متباينة تشمل تغييب الهوية، أو تزييفها، بأساليب مختلفة، ودون وجود أي نوع من الرقابة القانونية، أو الاجتماعية، على هذا الفضاء. ففي غرف الدردشة تتيح هذه العملية أكثر من فرصة لمغادرة الحدود التي يفرضها الواقع التقليدي، مع إمكانية الولوج في عوالم خيالية تتجاوز عقبة الهوية الحقيقية، ومستوى الحالة الاجتماعية ومحددات الشخصية التي نحاول ارتداء أقنعتها عندما نتعامل مع الغير (حسن مظفر الرزو، 2007، ص30). هذه الإمكانية لإخفاء الهوية يجعل بعض الناس يقولون الأشياء التي لم يكن من الممكن أن يقولوها عادة، ويزداد أثر إخفاء الهوية غياب الاتصال وجه لوجه، فإخفاء الهوية ليس بالشيء السيئ أو الجيد في الأساس، بل هو سلاح ذا حدين (أحمد محمد صالح، 2005).

2- إشكالية الشر المعلوماتي (الجريمة المعلوماتية): هو سلوك غير قانوني، يتم عن طريق أجهزة إلكترونية، ينتج عنه أضرار بالغة، إما مادية، أو معنوية للضحية، وحصول المجرم بها على فوائد مادية ومعنوية، أو كلاهما، ويتم ذلك بهدف القرصنة من أجل السرقة، أو إتلاف المعلومات (علي سيد إسماعيل، 2020، ص29). وتفرز هذه المسألة موضوع الشر المعلوماتي بوصفه إفرازا جديدا للبيئة الرقمية التي استحدثت في ظل تقنيات المعلومات الجديدة، وطبيعة الخيوط التي تربطه بالسلوك الإنساني (حسن مظفر الرزو، 2007، ص196).

3- إشكالية الخصوصية: لقد أصبحت البيانات الشخصية والدقيقة متاحة ومكشوفة، بل إن حياة الأشخاص أصبحت موثقة عبر حساباتهم على الشبكات الاجتماعية، وأصبحت شركات الشبكات الاجتماعية تمتلك قواعد بيانات كاملة عن أدق تفاصيل حياة مشتركيها (عبد الله الزلب، 2022، ص80)، فالفرد في البيئة الرقمية يتواصل بصورة مستمرة ويبحث عن مجموعات من الأشخاص تشاركه الاهتمام نفسه، وتبادله علاقة وترابطا اجتماعيا إلكترونيا ليس بالضرورة أن يكون بضمير حي، ولكنه مشبع لرغباته الخاصة، وعالم يجد فيه نفسه أو يقضي فيه أوقات فراغه والحصول على الكثير من المعلومات التي تهمه وتعنيه على وجه التحديد، عبر وسائل الإعلام الجديدة على نطاق عالمي (تامر المغاوري الملاح، 2017، ص11).

4- مستويات جديدة من الحرية: في هذه البيئة إمكانية الإبحار داخل فضاءاتها بمستويات جديدة من الحرية، وتوظيف خصائص فيزيائية جديدة لا تمت بصلة إلى الفيزياء الأرضية التي نتعايش معها. وعلى هذا الأساس يساهم الواقع الرقمي في إرساء حدود جديدة، ومساحات مجهولة يلفها الغموض وبحاجة إلى استكشافها، لكشف اللثام عن كثير من خفاياها. إن الأنماط الجديدة التي أفرزها الفضاء المعلوماتي، والتي تتمثل بالتفاعل الدائم مع الفضاء المعلوماتي والإقامة في أرضه الجديدة، باتت تحتم إعادة تشكيل مفاهيمنا عن المكان والزمان عبر رؤية معاصرة تحاول التحرر من نير المفاهيم التقليدية، لكي ننجح في وصف العلاقات الداخلية التي تقيم على التخوم الفاصلة بين العالم الفيزيائي والواقع الافتراضي الرقمي (حسن مظفر الرزو، 2007، ص92).

5- إشكالية تحيز المكان: تعمل هذه الوسائل على تكوين أنماطا من الصور المكانية الجزئية (المتحيزة) من خارج أو بعيدا عن المكان الذي ينتمي إليه الفرد، فتدخل عليه مكانا رمزيا مغايرا أو مختلفا عن مكانه المعايش، لكنه يصير مألوفا مع كثرة التعرض لها، مما يؤدي إلى نوع من الاغتراب عن المكان المعايش، يقابله شكل من التعلق بالمكان المألوف، فيصبح هذا المكان "الرمزي" هو المكان "الحقيقي" المعياري، لكنه يكون متشابها لدى جميع المتعرضين لهذه الوسائل بحكم افتقاده للخصوصية المكانية لأنه معولم. وهذا يعني أن التعلق بالمكان الرمزي الجديد "يضعف" الارتباط بالمكان المعايش التقليدي، ومن خلاله "يضعف" الارتباط بالقيم، لأن المكان أي (البيئة الفيزيقية) المعايش جزء من القيمة وثقافة المجتمع وتاريخه (خليفة العرياق، محمد برقان، 2022، ص338).

فالفضاءات الرقمية هي عبارة عن إنشاءات مرئية متحيزة مكانيا تسعى إلى تقطير محتوى المعلومات الرقمية المقيمة في نظم معالجة المعلومات، عبر المسارات التي توفرها شبكات الاتصال السائدة، والتي توفر إمكانية الحضور المشترك، والتفاعل الآني بين مجموعة من المستخدمين والأدوات المعلوماتية التي يتعاملون من خلالها مع البيئة الرقمية (حسن مظفر الرزو، 2007، ص91).

6- المبالغة في الصداقات: الصداقات قد تكون مبالغا بها أو طاغية في بعض الأحيان؛ فجميع الأشخاص الذين يتم التعرف عليهم عبر مواقع التواصل، سواء أكانوا من العائلة أو أشخاص جدد، يتم إضافتهم كأصدقاء وهو لقب غير دقيق؛ لأن الصداقة تتشكل مع الزمن وليس فورا، ففيها نوع من النفاق، ولن يترك لك الكثير من الوقت للرد والتواصل إذا أضفت المئات من الناس كأصدقاء، وهذه إحدى المشاكل الاجتماعية التي يواجها العديد من مستخدميها، وقد يكون هنالك أناس لا ترغب بهم ولكنك مضطر أن تقبل صداقتهم إذا وجدوك عبر الموقع، مما يشكل إحراجا كبيرا للبعض (خالد غسان يوسف، 2013، ص74).

7- إشكالية القيم والثقافة: فالتغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة اليوم جعلت الإنسان يعيش صدمة ثقافية قيمية بالغة الخطورة والأهمية. وهي التغيرات التي تضع الشباب في مواجهة قيم جديدة غير مألوفة يتوجب عليه أن يتمثلها، وذلك يؤدي إلى إحداث خلل في تكيف الشباب وانهيارهم. إننا في مواجهة قيم جديدة، وذلك كله يعرض الشخصية لموجة متضاربة من القيم تؤدي إلى انهيار الشخصية وإلى انفصام اجتماعي (علي وطفة، 2003، ص36).

والمشكلة الحقيقية التي تجابه الناس في تعاملهم مع البيئة الرقمية هي أن المنطق الاجتماعي السائد تشكله الافتراضية الواقعية التي تسم فضاء التدفقات، في حين أنهم يعيشون في العالم الواقعي، أي في فضاء الأمكنة المسكونة بالفعل. وهكذا ينشأ نوع من الشيزوفرنيا البنيوية حيث يتصادم منطقان مكانيان، وزمنيان مما يحدث اضطرابات عميقة في الثقافات على مستوى الكوكب. وهكذا يفقد الناس إحساسهم بذواتهم ويحاولون استعادة هوياتهم من خلال صياغات ونماذج حديدة (عبد الغني عماد، 2012، ص 98).

حقيقة أننا نعيش في إطار قرية صغيرة قلصت تكنولوجيا المعلومات مساحاتها ومسافاتها الزمانية والمكانية على السواء، وقد ترتب على ذلك أن أصبحنا نعيش عصر الفضاءات المفتوحة، وفي هذا الإطار تعتبر تكنولوجيا المعلومات هي القوة التي فتحت كل الأبواب المجتمعية المغلقة. حيث سعت هذه القوة إلى تأسيس تجانس ثقافي على الصعيد العالمي، وفي ذات الوقت تعميق التباين الثقافي على الصعيد القومي، ونتيجة لذلك نجد أن هذه العملية تعمل باتجاه تقويض أسس التماسك الاجتماعي في المجتمعات القومية، من خلال اختراق ثقافاتها تارة، وفرض التباين بل والتناقض على ساحتها تارة أخرى (علي ليلة، 2015، ص 42).

II. خاتمة

نظرا للتطور التكنولوجي الكبير الذي أصبح يميز الحياة المعاصرة، والذي جعل الأفراد يعيشون بين بيئتين مختلفتين عن بعضهما البعض، الأولى هي البيئة الاجتماعية الثقافية التي نشأ فيها واكتسب منها القيم ومعايير السلوك الاتصالي، والبيئة الثانية هي البيئة الرقمية التي أصبح يمارس فيها أيضا مختلف أوجه النشاط الإنساني، هذه البيئة تميز بكونها متعددة الثقافات وتفرض معايير سلوك مغايرة لما تفرضه البيئة الاجتماعية الثقافية، وعليه يجد الفرد نفسه إزاء حالة من الصراع والتناقض بين ما تفرضه عليه البيئة الأصلية وما تفرضه عليه البيئة الجديدة. ويتجلى هذا التناقض في مختلف مظاهر السلوك الاتصالي.

ومن العوامل التي تجعل السلوك الاتصالي للفرد يختلف بين البيئتين نذكر من بينها:

- الاختلاف في القيم الاجتماعية والثقافية: فقد يتغير السلوك الاتصالي للفرد بحسب ثقافته وجماعته الاجتماعية، فالثقافة في البيئة الاجتماعية تختلف عن الثقافة الرقمية حيث يكون هناك تفاعلات أخرى تختلف عن التفاعلات في الواقع الحقيقي. وينتج عن هذا الاختلاف في الثقافة اختلاف في القيم التي تعتبر كمعايير وموجهات للسلوك وهو ما ينعكس على السلوك الاتصالي كمظهر من مظاهر هذه القيم.

- الاختلاف في مهارات الاتصال: فكل بيئة تتطلب مهارات تواصل مختلفة، فالبيئة الحقيقية تتضمن مثلا اللغة والنبرة الصوتية بما يتوافق مع الغرض من الحوار والبيئة والزمن الذي يتم فيه التواصل. واستخدام الحركات الجسدية، وكذلك مراعاة المواقف الاجتماعية المقبولة في ثقافة مجتمع الفرد، أما البيئة الرقمية فيتضمن السلوك الاتصالي فيها عناصر مثل استخدام اللغة الإنترنتية والاشارات المرئية والرموز التعبيرية والصور والمقاطع المصورة، بالإضافة إلى إدارة ومعالجة المعلومات رقميا واستخدام أساليب الاتصال الرقمي، وتطبيقات ومواقع للتواصل.

الإحالات والمراجع:

- **المؤلفات**

1. أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية انجليزي فرنسي عربي، (بيروت، مكتبة لبنان، 1982).
2. أحمد محمد صالح، أثنوجرافيا الأنترنت وتداعياتها الاجتماعية والثقافية والسياسية، (كتاب إلكتروني، 5 200).
3. إسماعيل حسن عبد الباري، الديموجرافيا الاجتماعية، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000).
4. برنت روبن، الاتصال والسلوك الانساني، ترجمة نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية جامعة الملك سعود، (السعودية، معهد الإدارة العامة، 1991).
5. تامر المغاوري الملاح، المواطنة الرقمية، (الاسكندرية، السحاب للنشر والتوزيع، 2017).
6. حارث علي العبيدي، هبة عدنان النعيمي، الثقافة بين المحلية والكونية في ظل عولمة الاتصال، ط1، (عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع، 2015).
7. حسن محمد خير الدين، العلوم السلوكية، (القاهرة، مكتبة عين شمس، 1984).
8. حسن مظفر الرزو، الفضاء المعلوماتي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،2007.)
9. حسين حسن سليمان، السلوك الإنساني والبيئة الاجتماعية بين النظرية والتطبيق، (بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، 2005).
10. خالد غسان يوسف، ثورة الشبكات الاجتماعية، (عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، 2013).
11. عبد الرحمن عيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2007).
12. عبد الغني عماد، الثقافة وتكنولوجيا الاتصال- التغيرات والتحولات في عصر العولمة والربيع العربي، ط1، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2012).
13. عبد الله الزلب، مدخل إلى الإعلام الجديد، (كتاب إلكتروني، 2022).
14. علي سيد إسماعيل، مواقع التواصل الاجتماعي بين التصرفات المرفوضة والأخلاقيات المفروضة، (الاسكندرية، دار التعليم الجامعي، 2020).
15. علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع – آليات التماسك الاجتماعي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2015).
16. علي وطفة، الثقافة وأزمة القيم في الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي 29، الثقافة العربية-أسئلة التطور والمستقبل، ط1، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2003).
17. محمد أحمد بيومي، ظاهرة التطرف، (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2004).
18. محمد شفيق، الانسان والمجتمع- مقدمة في السلوك الإنساني ومهارات القيادة والتعامل، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1997).
19. محمد شفيق، السلوك الاجتماعي، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2002).
20. منى محمد علي جاد، التربية البيئية في الطفولة المبكرة وتطبيقاتها، (الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2004).
21. نظيمة أحمد محمود سرحان، منهاج الخدمة الاجتماعية لحماية البيئة من التلوث، (القاهرة، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، 2005).
22. وليم لامبرت، وولاس لامبرت، علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، ط2، (القاهرة، دار الشروق، 1993).

- **المقالات:**

23. أديب محمد خضور، السلوك الاتصالي لقرية سورية، مجلة جامعة الأقصى، سلسلة العلوم الإنسانية، المجلد التاسع عشر، العدد الأول، ص 42-72، يناير، 2015.
24. خليفة العرياق، محمد برقان، قيمة القيم في الإعلام والاتصال- قراءة في نظرية عبد الرحمن عزي، المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي، المجلد 9، العدد 1، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2022.
25. رشيد الحمد، محمد سعيد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، العدد22، الكويت، 1979.
26. عبد الكريم علي الدبيسي وزهير ياسين الطاهات، دور شبكات التواصل الاجتماعي في تشكيل الرأي العام لدى طلبة الجامعات الأردنية، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية- عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، المجلد 40 العدد 1، 2013.
27. محمد سيد بيومي، أثر البيئة الرقمية في تعزيز قيم المواطنة، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 20، العدد1، جامعة الشارقة، الامارات العربية المتحدة، 2003.
28. مصطفى مولود عشوي، الثقافة والقيم الأخلاقية، مجلة الطفولة العربية، المجلد3، العدد 10، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 2002.